Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إسلامياً خالصاً لا تشوبه شائبة من الجاهلية التى نبتت فيها للشعر جذورُه العميقة الراسخة ، واحتكمت تقاليدها الفنية فى أمزجة الشعراء وألسنتهم . فالقول بأن العرب تخلوا فجأة عما ألفوه واعتادوه فى فنهم القولى الذى يمثل التقاليد العريقة لماضٍ طويل « لأنهم قد آثروا مغادرة هذا الماضى والانصراف عن أشباحه وخيالاته ، فانصرفوا لذلك عن الشعر العربى الذى يمثله »[1] معناه أن الأدب تغير تغيراً حاسماً بين يوم وليلة ، فانبتَّ من جذوره ، وقطع كل صلة بينه وبين ماضٍ طويل ، عاش فيه إلى أمسٍ جد قريب !

ومن الأقدمين أنفسهم من لحظوا أن بين شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام فريقاً أطلقوا عليهم شعراء الخضرمة[2]. وهى تعنى ، فى الأصل اللغوى ، الاختلاط الملحوظ فيه الاشتباه : فالخضرم الماء بين الحلو والمر ، أو هو بين الثقيل والخفيف ، واللحم لا يُدرَك أمن ذكر أم من أنثى ، والرجل لا يُعرف أبوه ، أو الأسود من أبٍ أبيض ، والأذن مقطوعة دون أن تنفصل . . .

لكن من الأقدمين من لم يلتفتوا فى الخضرمة إلى هذا المعنى ، بل ردوها إلى قولٍ لأبى الحسن الأخفش : « يقال ماء خضرم إذا تناهى فى الكثرة والسعة ، فمنه سمى الرجل الذى شهد الجاهلية والإسلام مخضرماً كأنه استوفى الأمرين ، ويقال أذن مخضرمة إذا كانت مقطوعة ، فكأنه انقطع عن الجاهلية إلى الإسلام »[3] .

والأذن المخضرمة ، فى تعريف اللغويين ، لا هى مفصولة ولا موصولة .

وتفسير الخضرمة بالسعة أو بالانقطاع ، يعطل الملحظ الفنى الذى تقضى به طبيعة عصور الانتقال ، وهو ملحظ لعله لم يفت صاحبَ (القاموس) حين أورد فى المخضرم معانى الاشتباه والاختلاط ، ثم أتبعها بالشاعر الماضى نصف عمره فى الجاهلية ونصفه فى الإسلام أو من أدركهما . والسياق قد يلفت إلى أن دلالة التوزع فى الشاعر بين الجاهلية والإسلام ، ملحوظة فى الخضرمة .

على أن مؤرخى الأدب ممن لم يفتُهم هذا الاعتبار ، اكتفوا بأن يخصوا به

---

(١) الدكتور شكرى فيصل . تطور الغزل ١٨٧ ط دمشق

(٢) ابن رشيق . العمدة ١ – ٧٣ .

(٣) المصدر نفسه : ١ – ٧٣ .